الصراع بين العقلية الشفاهية والعقلية التدوينية

صلام نيازي

من التعبيرات الشائعة الممرضة في مجتمعاتنا العربية ، تعبير :"حبر على ورق". جملة صادمة لا ريب ، تكشف عن معاطب لا حصر لها ، أقلّها وأوّلها أنْ لا أهمية لأية وثيقة ممهورة ، وأنّ السلطة ، مغبّة أضابيرها ، في مجتمع كهذا ، تكون العقلية الشفاهية هي القوة المنظّمة للعلاقات بين الفئات المختلفة وهي عقلية مزاجية خاضعة لظروف الفرد الشخصية ، سواء أكان مسؤولاً حكومياً أم شخصاً عادياً ، متعلّماً أم غير متعلّم.
المجتمع المدموغ بالعقلية الشفاهية ، مرهون بالمصادفات.تطوّره متقطّع وقد ينتكس للا سبب معقول. غير متواشج. متنافر ، حتى لو بنى أحدث الجامعات ونشر التعليم من أقصى البلاد إلى أقصاها ، ووصل المدن بأدقّ شبكة مواصلات. يكون البلد مثل شخص لا يأبه بالمواعيد وفي يده أفخر ساعة. يبدو أنّ مشكلتنا الأساسية ، أننا لم نصلْ بعدُ إلى حضارة التدوين ، أيْ العقلية التدوينية. أدبنا ولا سيما شعرنا المنفوخ ، وكذلك مناهجنا التربوية تشجّع عموماً على العادات الشفاهية. همّ الحكومات منصبّ على تنشئة أجيال متعلمة ، لا أجيال متحضرة.

ثمّة تفسيرات سياسية، وأخرى اقتصادية كثيرة، لتأخرنا عن الدخول إلى القرن الواحد والعشرين، ولكن حتى لو تحسنت الظروف السياسية، وارتفعت الدخول ومستويات المعيشة، فإننا لن نكون شيئاً مذكوراً بين الأمم الصالحة للعيش، ما لم نجدّ في تغيير العقلية الشفاهية إلي عقلية تدوينية، وليس هذا بهين، إذا أخذنا بعين الاعتبار أنّ "المسلمين القدامى، ولا سيّما الأصوليون منهم، قللوا من أهمية التدوين لدرجة الاستهجان، واعتبروا الأحاديث النبوية المدونة تصحيفاً. الأفضل بنظرهم ما روي مشافهة: Oralأو سمعاً .Aural)تجربتي الشخصية في الغرب:ص ٧).

العجب، عين العجب، ما ذكره الإمام محمد عبده (الجزء الثاني - في الكتابات الاجتماعية، ص٢٦٤) من أنّ القضاة بمصر على عهده أهملوا الشهادات المدونة مفضلين عليها الشهادات الشفاهية. قال محمد عبده :"...والأدلة الخطّية مهملة بالمرّة، لا يعدّها القضاة إلاّ مؤيدة للشهادات،والمعوّل عليه هي الشهادة (الشفاهية)، لا غير، اللهمّ إلاّ في قليل من حجج المبايعات وإعلامات الأحكام"

اعتبر محمد عبده عدم الأخذ بالشهادة المكتوبة نقيصة لا سيّما والقضاة أنفسهم كانوا قدتعلّموا أحكامهم من المدونات :"وعار على قوم يأخذون الأحكام من الكتب ويجلسون للحكم بدلائل الخطّ لا سواها أن يأبوا اعتبار الخط دليلاً متى كان بإمضاء مَنْ عليه الحق أو خطه ولم توجد فيه شبهة للتزوير" . مما يُلاحظ هنا أنّ محمد عبده استعمل كلمة : "عار" وقسوتها تدلّ على مدى يأسه من شيوع العقلية الشفاهية.

مع ذلك ما يعنينا هنا، هو العقلية التدوينية بالدرجة الأولى، وليس التدوين بحدّ ذاته، وإن كان التدوين مهداً لها. ففي الأوساط المتحضرة، يكون تشقيق اللغة وتصاريف الكلام، حتى إذا جرى شفاهاً، بمثابة تدوين من حيث مسؤولية انتقاء الكلمات الوظيفية والتراكيب والجمل والاعتراضات وخطوط الرجعة وعدم الجزم القاطع. بكلمات أخرى يكون الكلام مشحوناً بالاحترازات حتى لو كان حواراً بين خدنين حميمين. لا شكّ في إنّ الحوارات في المسرحيات الكبرى من أتقن حالات التدوين وإن اتخذت صيغة المخاطبة الشفوية.

هذا بالضبط ما ورثناه عن الأسلاف. العقلية الشفاهية. والأنكى إننا تواطنا عليها، ونستميت في بعض الأحيان في الدفاع عنها. كان النتاج الفكري قبل العصر العباسي، متفرخاً عموماً من عقلية شفاهية. مشحوناً بأسمن المبالغات وأغلظها ، وبينه وبين الكذب الأبلق اختلاف طفيف لا يكاد يُذكر. هذا النوع من الأدب حتى وإن كان مدوناً، يظلّ شفاهياً.

لا مراء ، لا يجمل بنا أن نتوقع وكيف نتوقع من أناس رُحّل، لا ينتمون لمكانٍ جغرافي بعينه، ولا يرتبط مصيرهم بمصيره، أن يتحلوا بعقلية تدوينية؟ لنأخذ الخوارج كعيّنة مُثلاً، كما وصفهم الجاحظ : (رسائل الجاحظ،ج١ ص٤٢) :

"إذا احتاجت أمست بأرض وأصبحتْ بأرض، وإنهم قوم حين خرجوا لم يخلفوا الأموال الكثيرة، والجنان الملتفّة، والدور المشيّدة، ولا ضياعاً ولا مستغلات ولا جواري مطهّمات وإنهم لا سلبَ لهم ولا مال معهم فيرغب الجندِ في لقائهم، وإنما هم كالطير، لا تدّخر ولا تهتم لغد"

يرى الجاحظ من ناحية أخرى، أنّه :"لولا تقييد العلماء خواطرهم على مر الدهر، ونقرهم آثار الأوائل في الصخر لبطل العلم وضاع آخره ولذلك قيل :لا يزال الناس بخير ما بقي الأوّل يتعلم من الآخر" (رسائل الجاحظ ـــ ص ٢٨٣).

على هذه الوتيرة، ذكر طه باقر، (ملحمة كلكامش- ص٤٠): "أنّ الملوك الآشوريين اعتادوا على أن يصطحبوا في حملاتهم الحربية، بالإضافة إلى المهندسين وآلات الحرب والعربات الحربية الضخمة، عدداً كبيراً من الكتاب لتسجيل سير المعارك، وان هؤلاء الكتاب الأدباء المجهولة أسماؤهم هم الذين خلّفوا لنا تلك القطع الأدبية الرائعة في النثر الأدبي والشعري".

قد يكون من المفيد أنْ نقتبس ما ذكره عالم الآثار البريطاني سير ليونارد Wolley في كتابه النفيس :أور مدينة الكلدانيين Ur Of The Chaldeens ص(٦٧– ٦٨) ، بأنّ أحد العاملين معه، عثر في مقبرة أور على لوح مستطيل صغير من حجر الكلس الأبيض وفيه كتابة :"لقد بنى أ-آني –باد –دا، ملك أور هذا البناء لزوجته نين –خارساغ". أكّد ورود آسم الزوجة على تاريخ وضع الحجر الأساس أوّلاً، وأوضح ثانياً فصلاً كاملاً مجهولاً من التاريخ القديم". يقول Wolley والآ ن أصبحتْ بأيدينا وثيقة معاصرة لذلك العهد تبرهن على وجود مؤسس سلالة أور الأولى، وعلى إثبات الحقيقة التاريخية لقائمة الملوك القديمة". أي لولا تلك الكسرة من التدوين الطيني لضاعت منّا حقبة مهمة من تاريخ السومريين ، ربما إلى الأبد، كما ضاعتْ منا آلاف آلاف الأغاني لأنها لم تُدوّنْ بنوتات موسيقية.

بعد سقوط الحضارات العراقية القديمة انحسر التدوين لقرون ولم يظهر ثانية، إلاّ في العصر العباسي.(تفاصيل أكثر في كراس "تجربتي في الغرب"

يبدو ما من كتاب غير وعظي أو تعليمي : Didactic اهتمّ بالتدوين وأشاع أهميته، مثل كتاب "ألف ليلة وليلة". يقول إنطوان صالحاني اليسوعي في مقدمته لألف ليلة وليلة (بلا ترقيم) :"ومما يُذكر في تأليف "ألف ليلة وليلة" أنّ الملك شهريار أقلع عن ظلمه، وبعد أن رُزقَتْ شهرزاد ابناً منه عَقِبَ ألف ليلة وليلة ... أمر بتسجيل حكايات شهرزاد بماء الذهب وجعلها في خزائن الذهب".

ومن العبارات التي تكررت في هذه الرواية الفريدة، عبارة : "لو كُتبتْ بالإبر على آماق البصر، لكانت عبرة لمن إعتبر". (حكاية التاجر والجني مثلاً).

ارتبطتْ بعض قصص ألف ليلة وليلة ارتباطاً وثيقاً بالعقلية التدوينية، وعلى وجه الخصوص بعقلية هارون الرشيد الذي حينما سمع قصة :"بدر الدين حسن مع أمه وابنه عجيب وعمه شمس الدين"، تعجب وقال :"ينبغي أن تُكتب هذه الأحاديث بماء الذهب".

ولكن لماذا هارون الرشيد بالذات؟ في حكاية : "الحمّال والثلاث بنات"، نتعرف على هارون الرشيد وقد "نزل ليتفرّج ويسمع ما يتجدد من الأخبار هو وجعفر وزيره ومسرور سيّاف نقمته، وكان من عادته أن يتنكر في صفة التجّار".

يذكر عبد الجبار الجومرد في كتابه: "هارون الرشيد" (ج١ ص٢٨١): "وفي بعض أخباره أنّه كان يهوى التنكر في لباسه ليلاً والخروج مع أحد وزرائه أو خاصّته وقليل من الحرس، لحضور المجتمعات الشعبية التي كانت تقام في الأفراح والأعياد، ليشارك شعبه ويتلمس عن قرب أحزانه ومسرّاته، فكانت هوايته هذه مجالاً واسعاً لأقلام الكتّاب وأخيلتهم، فصنعوا بذلك القصص الشيقة والنوادر الطريفة والمحاورات الظريفة بينه وبين الأعراب أو السوقة أو كبار التجار مع شئ من المغامرات مع النساء وإن كان معظمها لا يخلو من المبالغة الواضحة أو الركاكة والتفاهة ثمّ توسعوا

في ذلك على مدى الأيام فكانت قصص ألف ليلة وليلة".

ثمة رواية منقولة عن الأصمعي (محاسن الملوك –ص٨٥)، تدلل على حبّ هارون الرشيد للتدوين، و"أخذ الحكمة من أيّ وعاء خرجت". روى الأصمعي : "كنتُ عند الرشيد فجيء له بعبيد الملك بن صالح العبّاسي، مكبّلاً بالحديد، وكان قد ارتاب في أمره فحبسه، ودار بينهما حوار طويل أغضب الرشيد. وكان يحيى بن خالد حاضراً، فأراد أنْ ينال من الرجل فقال له :إنّكَ لحقود. فأجابه هذا : "أصلح الله الوزير، إنْ يكنِ الحقد هو بقاء الخير والشر عندي، فإنّهما الباقيان".فأعجب الرشيد بهذا الجواب.، والتفت إليّ وقال : "حرّرها يا أصمعي فوالله ما احتجّ أحد للحقد بمثل ما احتجّ هذا". (عن الجومرد –ج١–ص٢٤٤).

أمّا عن عقلية هارون الرشيد التدوينية، فقد ذكر أبو يوسف القاضي في مقدمة كتابه : "الخراج" ما يلي : "سألني أمير المؤمنين – أيّده الله –أن أضع له كتاباً جامعاً يعمل به في جباية الخراج والعشور والصدقات والجوالي وغير ذلك مما يجب النظر فيه والعمل به. وإنّما أراد ذلك رفع الظلم عن رعيته والصلاح لأمرهم...وقد كتبتُ لكَ ما أمرتَ به، وشرحته لكَ وبينته، فتفقّهه وتدبّره، وردّدْ قراءته إلى أنْ تحفظه".

لا ننسَ كذلك، أنّ أوّل مكتبة تشكلتْ عند العرب هي : بيت الحكمة وتدعى أيضاً :

"خزانة الكتب"، كان قد أنشأها الرشيد في قصر الخلد" (الجومرد – ج٢ ص ٢٣٦).

حينما انتقلت الحضارة العربية إلى الأندلس، إنما انتقلت معها العقلية التدوينية ومنها انتشرت يوما بعد يوم في أنحاء العالم إلى يومنا هذا. وبهذه العقلية هم يختلفون عنّا في الوقت الحاضر.

تمظهرت العقلية التدوينية بالأندلس في شتّى العلوم التطبيقية وحتى في العلوم التجريدية كالفلسفة مثلاً ولا سيما لدى ابن باجه الأندلسي، وابن الصائغ وابن طفيل.

فحينما تموت الظبية عن شيخوخة وهي التي أرضعت حي بن يقظان طفلاً ورعته صبياً، فتلك نهاية طبيعية في نظر الكلّ، إلاّ أنّ حي بن يقظان لم يقتنعْ، وإنما راح يفتش عن أسباب الموت داخل الجسد.

يقول الراوية : "فسكنت حركاتها بالجملة وتعطلت جميع أفعالها. فلما رآها الصبي على تلك الحالة جزع جزعاً شديداً، وكادت نفسه تفيض أسفاً عليها، فكان يناديها بالصوت الذي كانت عادتها أنْ تجيبه عند سماعه، ويصيح بأشدّ ما يقدر عليه، فلا يرى لها عند ذلك حركة ولا تغييراً، فكان ينظر إلى أذنيها وإلى عينيها فلا يرى بها آفة ظاهرة، وكذلك كان ينظر إلى جميع أعضائها فلا يرى بشئ منها آفة...)ص١١٢)، ...فعزم على شقّ صدرها وتفتيش ما فيه ...حتى ألفى القلب" (ص١١٦).

ينتقل ابن طفيل، وهو ينشد أسباب الموت، من تشريح قلب الظبية الميتة، إلى تشريح قلوب حيوانات حية أخرى. أي أنّ حي بن يقظانٍ كان يخوض تجربة نامية. ولكن مما يقلل من عملية التجربة في الكتاب لا من أهمية الإبداع أنّ النتائج متوقعة من البداية لأنها نابعة من عقلية عقائدية. مع ذلك تبقى موهبة كتاب ابن طفيل في نفاسة بنائه الروائي وطلاوة أسلوبه السردي: في منهجه التدويني.

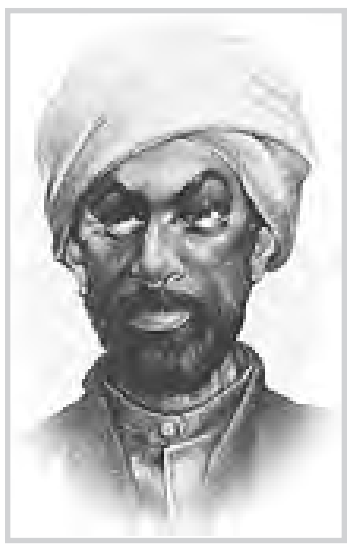
الجاحظ

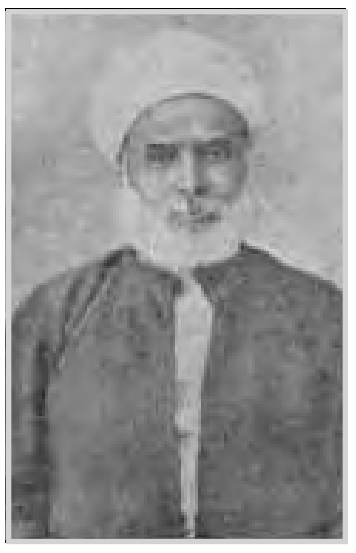
محمد عبده

محاضرة بمناسبة عيد الصحافة الكوردية ..

جريدة كوردستان شهادة ميلاد الصحافة الكوردية

رعد الجماس

بمناسبة مرور الذكرى السابعة بعد المائة على صدور العدد الأول لجريدة كوردستان في الثاني والعشرين من نيسان عام ١٨٩٨ التي صدرت في مصر ، والذي اعتبر عيداً للصحافة الكوردية ، عقد فرع نقابة صحفيي كوردستان في الموصل محاضرة بهذا الخصوص حملت عنوان (جريدة كوردستان شهادة ميلاد الصحافة الكوردية) ، وذلك في ناحية قره قوش شرق الموصل ، وشارك فيها جمع غفير من ادباء ومثقفي الناحية وعموم محافظة نينوى ، وابتدأت المحاضرة بكلمة (للأستاذ عبد الغني علي يحيى) مسؤول فرع النقابة استعرض فيها تاريخ الصحافة الكوردية منذ بداية ظهورها ولغاية اليوم ، مروراً بمختلف الحقب التاريخية التي مرت بها ودورها في تصوير الوقائع والاحداث بكل حيادية ونزاهة ، فضلاً عن نضالها الدائم للدفاع عن القضايا المصيرية للكورد وبما يكفل نيلهم كافة حقوقهم الوطنية المشروعة ، مؤكداً على أهمية المكاسب التي حصلت عليها الصحافة الكوردية بعد التاسع من نيسان ومستوى التعاون المشترك الذي تبديه نقابة صحفيي كوردستان مع نقابة صحفيي العراق وصولاً إلى تحقيق صحافة حرة هادفة تضع الوطن وبناءه في أولويات ما تصبو إلى بلوغه، مشيراً إلى أن فرع نقابة صحفيي كوردستان في الموصل سينظم احتفالية خاصة يوم عيد الصحافة العراقية الذي سيصادف في السادس عشر من حزيران القادم ، وسيتم خلاله تكريم عدد من صحفيي واعلاميي الموصل ..

أما (الصحفي عدنان المزوري) الذين سيشارك بصفة محاضر فقد قال :

-دأب فرع نقابة صحفيي كوردستان في الموصل وحسب منهاجه الثقافي على تنظيم محاضرات ولقاءات دورية تتناول شتى المواضيع ويضيف خلالها النخبة من المثقفين والاعلاميين ، فضلاً عن الضيوف والمشاركين من المواطنين ، بهدف اشاعة الثقافة والمعرفة وتبادل الافكار والمعلومات والخبرات، وكان أخرها هذه المحاضرة التي عقدت بمناسبة عيد الصحافة الكوردية ، حيث تمت مناقشة صدور اول صحيفة كوردية في العالم وهي صحيفة (كوردستان) والتي صدر عددها الأول في ٢٢ نيسان من العام ١٨٩٨ ، وتناولت محاور النقاش أسباب صدور الصحيفة والمواضيع التي تطرقت إليها بالنشر وسيرة حياة مؤسسها (مقداد مدحت بدر الخان) ، والاصداء التي خلفتها في المناطق التي وزعت فيها ولاسيما اقليم كوردستان ، خاصة وانها تطبع باللغة الكوردية ، إلى غير ذلك من المعلومات الأخرى التي اغنت موضوع المحاضرة..

هذا وقد شارك عدد من الحضور في مناقشات ومداخلات متنوعة حول الصحيفة والصحافة الكوردية موضوعة البحث ، ساهمت مع الأجواء العامة في المحاضرة بالخروج بحصيلة عمت من ورائها الفائدة المعرفية جميع الحضور والمشاركين الذين طالبوا بتكرار مثل هذه النشاطات الثقافية لحاجة المجتمع إليها وحجم الاستفادة الكبير الذي يجنى من وراء عقدها.

من المكتبة العربية

نقد العقل التعارفي / جدل التواصل في عالم متغير

المؤلف /د رسول محمد رسول
المؤسسة العربية للدراسات والنشر ٢٠٠٥

خلال العقدين الماضيين انهمك المفكرون العرب بإشكاليات عدة، منها إشكالية التعارف الثقافي أو الحضاري، وتصاعدت الاجتهادات المتنوعة لمناقشة هذه الإشكالية عربياً بعد أن ظهرت نظرية نهاية التاريخ لفوكوياما، ونظرية صدام الحضارات لصموئيل هنتنغتون مطلع التسعينيات من القرن الماضي، واللافت في النقاش العربي أن عدداً من المثقفين والمفكرين العرب باختلاف اتجاهاتهم الفكرية والفلسفية شاركوا في بناء رؤية عربية نقدية في فضاءي هاتين النظريتين وفي أحيان أخرى خرجوا إلى طريق ثالث.

وفي هذا السياق كانت للباحث العراقي الدكتور رسول محمد رسول مساهمة نقدية في هذا المجال، فبعد أن ناقش إشكالية التعارف الثقافي والحضاري في كتابين سابقين هما ؟الغرب والإسلام استدراج التعالي الغربي؟، و؟الغرب والإسلام قراءات في رؤى ما بعد الاستشراق؟، آثر العودة من جديد إلى مناقشة هذه الإشكالية من منظور فلسفي،

وهو ما يوحي به كتابه الصادر في بيروت مؤخراً بعنوان ؟نقد العقل التعارفي.. جدل التواصل في عالم متغير؟ والذي ناقش فيه إشكاليات الجهاز المفاهيمي للعقل التعارفي الذي ترتكز عليه كل النقاشات الدائرة في فضاء التعارف الحضاري والثقافي، كما أشار إلى ذلك في مقدمة الكتاب .

ويعتقد رسول أن النقد هو فتح لإمكان المعنى، وربما يقترب هنا من مفهوم النقد لدى فوكو ولوز وعلي حرب.وفي ضوء هذا الفهم يعتقد أن مفهوم التعارف الحضاري ما زال عرضة للفهم العام، الأمر الذي يحتم النظر نقدياً في خباياه وتداوله وتوظيفاته، والبحث عن جملة من التحديات التي تواجه التعارف في راهنية العالم المعاصر.

اثر الفن الاسلامي على التصوير في عصر النهضة

تأليف : ايناس الحسيني - الناشر : دار الجيل ٢٠٠٥

للفن الإسلامي تأثير واضح على الغرب وفنونه، فبعد أن استقرت الحضارة الإسلامية وتشربت الحضارات الأخرى عبر الفتح والدخول في الإسلام من قبل حضارات كانت مختلفة، بدأت المعاني والأفكار الإسلامية تنتقل إلى هذه الحضارات وعلى رأس ذلك الفن الإسلامي عبر التجارة الخارجية التي أضحت أهم وسائل انتقال الفنون الإسلامية. وهذا ما حاولت المؤلفة في كتابها هذا إلقاء الضوء عليه وبالتحديد وبالتفصيل في الفصل الثالث "طرق وتأثير الفن الإسلامي في العصور الوسطى الأوروبية، ثم أثر الحضارة الإسلامية على الغرب ككل، ثم بواكير عصر النهضة. ومن ثم إن دراسة الفنون الإسلامية التشكيلية تمثل دراسة إحدى نقاط التماس بين الحضارتين العربية والغربية، من هنا حاولت المؤلفة وعبر فصول من الكتاب أربعة إثبات أن الفنون الإسلامية أثرت في أوروبا، كما أن الفنون الأوروبية أثرت في الفن الإسلامي، وأنه أصبح فناً مستقلاً بالإمكان أن يطلق عليه أحد أبرز الفنون التي أنتجها الإنسان على مدى تاريخه الطويل. من أجل ذلك فإن الكاتبة ايناس الحسيني عالجت في الفصل الأول نشأة الفن الإسلامي، وعلاقته بالدين وطرق تطوره وفلسفته، ومفهوم الفراغ والتجديد في الفن الإسلامي، وسماته وتنوعه، للخلوص إلى أنه فن يضاف إلى بقية الفنون الإنسانية، كالفن الأوروبي، والفن الفرعوني، والبابلي والفينيقي، وهذا الفن لا يقل أهمية عن فنون شرق آسيا والصين والهند واليابان. أما في الفصل الثاني فقد عمدت المؤلفة إلى إلقاء الضوء على التصوير في الفن الإسلامي، ثم تطوره في العصور المختلفة من الإسلام، وذلك من خلال استعراض المدارس العربية المختلفة كالعراقية والمصرية ثم اختيار نماذج إسلامية في المدن الأوروبية مثل صقلية، من خلال الفنون الزخرفية الإسلامية وأثرها في صقلية، للخروج من هذا أن مدرسة صقلية هي مدرسة إسلامية في فنونها، وليست أوروبية.

وكشف الكتاب عن الأثر الذي خلفته الفنون الإسلامية، وذلك مع بداية عصر النهضة في بواكيره وإرهاصاته الأولى، وبعد خروج العرب من الأندلس، تتابع المؤلفة تاريخياً ما قبل عصر النهضة. وفي الفصل الرابع والأخير تحاول المؤلفة رصد "مدخل إلى عصر النهضة" العصر الذي يعد صاحب أهم إنجاز في المدينة الحديثة، كما تتم الإشارة إلى أثر الفنون الإسلامية في فنون عصر النهضة، تلك الفنون التي تظل شاهدة على قوة الفنون الإسلامية حتى الآن في أوروبا، في إسبانيا، وإيطاليا وفرنسا، وحتى داخل شمال أوروبا نفسها.

نشأة الفكر السياسي عند العرب

حفريات في مسلمات الفكر العربي

المؤلف : الدكتور محمد علي الكبسي
دار الفكر ٢٠٠٥

عن دار الفكر بدمشق صدر كتاب : نشأة الفكر السياسي عند العرب للدكتور محمد علي الكبسي . يتألف الكتاب من بابين، الأول تناول الشروط الموضوعية لظهور الفكر السياسي العربي الإسلامي والمراحل الثلاث التي مر بها، والباب الثاني رصد التأسيس النظري لهذا الفكر عبر استقراء العديد من النصوص السنية والشيعية والبحث في أشكال تطورها وصولا إلى تبلور علم متكامل أدى إلى ظهور نظريتي المدينة والسعادة .

اعتبر الباحث أن الخلافة هي البؤرة المولدة لهذا الفكر، فهي نمط من الحكم توصل إليه العرب المسلمون دون سواهم، كما توصل الفرس من قبلهم إلى نمط الحكم الإمبراطوري، واليونانيون إلى نظام الديمقراطيات المباشرة، وهذا النمط الخلافي وجد روحه ونسغه في الفكر السياسي الذي أعلن عن ولادته بنشوء تلك الخلافة، وقد كانت أهم الأسئلة التي طرحها هذا الفكر على الإطلاق عبر مراحل تطوره كلها، هو سؤال الشرعية والأحقية، ولأن بدا السؤال مثيرا لعدة إشكالات نظرية تم حسمها سلميا منذ حادثة السقيفة إثر وفاة الرسول.

وأعلن هذا السؤال عن نفسه في شكل حروب (فتن) بين القوى الاجتماعية المتناحرة والمسماة بالفرق بعد مقتل الخليفة عثمان بن عفان، وكانت موقعة الجمل هي الحرب الأولى التي يخوضها مسلم ضد مسلم، تلتها حرب صفين، ثم أخذ سؤال الإمامة يتجسد في ظاهرة تفتيت نظام حكم الخلافة ذاته زمن الدولة العباسية عبر إقامة نوعين من الكيانات السياسية المستقلة .

بغداد التاريخ والشعر

المؤلف : وليد محمود خالص
الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر
تاريخ النشر٢٠٠٥

يضم هذا الكتاب ثلاث دراسات مطولة في جوانب مختلفة من بغداد، الأولى عن الكتاب، والثانية عن الشعر، والثالثة عن إشكالية الإحياء الشعري، وهي إن مدت في بعض الأحيان بصرها إلى خارج بغداد لتنظر إلى العراق كله فقد ظلت بغداد هي المركز والبؤرة التي تجتمع فيها الأشياء لتنطلق منها إلى خارجها، وهكذا كان قدر بغداد قديماً، وقدرها حديثاً.

اعتنت الدراسة الأولى بكتاب هو من عيون التراث العربي هو (نشوار المحاضرة وأخبار المذاكرة) للقاضي أبي علي المحسن بن علي التنوخي المتوفى سنة ٣٨٤ للهجرة ولذلك حملت عنواناً يتفق مع مضمونها هو (عيون جديدة على موسوعة بغدادية قديمة).

وتأتي محاور الدراسة بعد هذا متفقة مع مضمون الكتاب فهي تولي (المشاهدة الشخصية)، عناية كبيرة، فنرى التنوخي يلتقي بالكثير من الشخصيات السياسية والإدارية والعلمية ويدير الحوار معها، وينقل أخبارها من خلال تلك المشاهدات، ولا ينسى في غمرة تلك الشخصيات أن يلتفت إلى الواقع المعيش فيرصد جوانب مهمة منه، فيتحدث عن التفاوت الطبقي، والحال السيئة التي آل إليها المجتمع بسبب جور الحكام وظلمهم.

ووجهت الدراسة الثانية وجهها نحو (الشعر في بغداد في عصورها الزاهية)، وما يراد بالعصور الزاهية هو العصر العباسي الذي بنيت بغداد في ظلاله، وصارت مستقر الخلفاء، وقطب الدنيا بعد هذا، وكان الباحث مدركاً اتساع الموضوع، وتشعب أنحائه، فما قيل من الشعر في بغداد خلال عصورها المتعاقبة كثير وكثير جداً، طوائف متباينة من الشعراء، واتجاهات شعرية متنوعة، ولم يكن بمكنة بحث واحد أن يحصر هذا كله بين جنباته.